الوجود النصي من المشروع الذاتي إلى الكشف التأويلي: رؤية في النسق الفاعلي والحضور الثقافي- قراءة في رواية(أقتلوهم جميعا)"لسليم باشا"

Existence from the Self-project to the Hermeneutic Revelation - a Vision of Appearing in the Active Format and Cultural Presence-Reading in the Novel (Kill them all) by"Salim Bashi"

د/ مسعودي حبيبة *
Dr.Messaoudi habiba
مخبر السوسيو أدبيات والسوسيو تعليميات والسوسيو لغويات
جامعة محمد الصديق بن يحيى، جيجل (الجزائر)
University of Muhammad Seddik bin Yahya - Jijel- (Algeria)
messaoudihabiba27@gmail.com

تاريخ الإرسال: .2022 /08/02	تاريخ القبول: 2022/12/09	تاريخ النشر: 2023/06/02

مُلَخَّصُ البَحْثِ

موضوع هذه الدراسة يدور حول الوجود النصي العاكس لمشروع تؤسس له الذات وتسعى العملية التأويلية لاستنطاق مضمراته عن طريق مد الجسور بين الممكنات المعرفية، التي تجعل من الفعل القرائي حدثا متجددا يكفل تعدد الدلالات؛ كونه يبقى دوما قابلا للقراءة.

ومن الواضح أن واقع ذلك الوجود يشكل عالما ممكنا خُطَت كينونته من رحم الحضور الثقافي الذي يسكن الوجود، ويُمَكِنُ من فتح الممكن وتجاوز رهاناته، وعلى هذا الأساس تهدف هذه الدراسة إلى تقديم رؤية حول الوجود النصي وأبعاده الممكنة وانفتاحاتها، وهويته المرجعية وهذا من خلال قراءتنا لرواية(أقتلوهم جميعا) "لسليم باشي".

الكلمات المفتاحية: وجود ،نصي، ذات، نسق، حضور، ثقافي.

Abstract :

The subject of this study revolves around the reflective textual presence of a project for which a self is established, and the interpretive process seeks to investigate its implications by building bridges between cognitive possibilities. Which makes the reading verb a recurring event that ensures the multiplicity of connotations; It is always readable.

It is clear that the reality of that existence constitutes a possible world whose existence was drawn from the womb of the cultural presence that inhabits existence.It is possible to open the possible and bypass its bets,On this basis, this study aims to present a vision about the

* د/مسعودي حبيبة messaoudihabiba27@gmail.com

textual existence, its possible dimensions, its openness, and its reference identity, this is through our reading of the novel (Kill them all) by "Salim Bashi"

Keywords: textual, presence, self, effective, format, cultural

المقدمة :

إن المشروع الإبداعي الذاتي والفاعلية القرائية التأويلية تنطويان على شبكة من الممكنات المعرفية التي تعكس جملة من الاحتمالات أو الفرضيات الحاملة لطاقة استيعابية أو مفهوماتية، تسمح بتداول البنى النصية وفق رؤى انفتاحية تترجم مكنونات فضائها ومحمولاته الدلالية في نسق فاعلي ترتسم فيه الدلالة المرتكزة على ما يتوارى في النص من أنساق مضمرة، متصلة بمكنونات التشكيل اللغوي والدلالي لذاك المشروع،المتضمن لمرجعية ثقافية؛ حيث تتحدد فواصله – النص - النسقية من الواقع المؤسس لمعالمه انطلاقا من النسق المحمول للواقع الممكن، وصولا إلى إمكانات التفاعل (الوعي والوجود)، عبورا بالأشكال الثقافية وما لها من استراتيجيات.

أولا: تمهيد:

يشتغل موضوع هذه الدراسة على معالجة مسألة الوجود النصي في دائرتي المشروع الذاتي والكشف التأويلي، وما له من حراك حول النسق الفاعلي والحضور الثقافي، ومن هنا تأتي مشروعية التساؤل التالي:
في ما تمثل آليات الكشف الوجودي الفعلي للنص داخل فضاء دلالي فني يستكشفه حدث القراءة؟ وهل يجعل هذا الحدث المشروع الإبداعي الذاتي ينفتح على تأويلات تعكس سياقات ثقافية متباينة وفق حركة اتصالية تفاعلية تنتقل من المُعطَى إلى المُتَلَقَّى ؟

ولعل الخوض في غمار هذه الإشكالية تحدد الهدف من الدراسة والمتمثل في نقل المشتغل على تفكيك شفرات النص من تفاعله مع تمظهرات خطية متخالفة إلى وضع تشكلات متباينة بفاعلية معرفية، ذات تجمعات منتظمة، وفق منهجية وجودية داخل الوجود فتنفتح على الما سيكون، انطلاقا من حضور ذاتي بغية الوصول إلى تحديد مشروع لوجود آخر يتشكل تحت قبة فضاء متجانس يعقد اتصالات علائقية ما تبتغيه الذات المُؤَسِسَة للوجود النصي والتسلسل الدلالي الذي يتطلبه حدث التفكيك والتأويل .

ثانيا: الوجود النصي وفاعلية التجاوز:

1- نتاج الذات من مستوى الوعي إلى مستوى اللاوعي:

علينا من البداية الإشارة إلى الكيان النصي الحامل لشحنات معرفية، هذه الأخيرة التي يكون أساس فهمها العلاقات الماثلة بين الأجزاء والكل، تنظمها وتحكمها عملية الإنتاج وما تنطوي عليه من بنيات فكرية، تتأتى مقصديتها من إدراك فعلي ينحصر بين نسق تركيبي دلالي متلاحم،ووعي بذاك النسق المبني على ثنائية التشاكل/ التعالق والتجاوب و/ بناء الممكن.

ولا يمكن في أي حال من الأحوال تجاهل العلاقة الماثلة بين الكتابة والقراءة، ولا سيما إذا تم الإقرار بأن «النص تفاعل معرفي قبل أن يكون بنية لغوية تندمج فيه الاستجابة المرئية في طبقاتها السطحية، ضمن ما يحتويه الموجود الملموس مع روح التأمل الداخلي فيه، قصد إدراك مخيلاته المخفية، ومن خلال ذلك تأتي القراءة الحداثية لمحاولة استجلاب أسراره مع ورود منعرجاته الاحتمالية إلى تصور تأملي تتفق فيه الذات مع الآخر وفق مبادئ مشتركة» .[1]

فنحن بكل بساطة نلمس الرفقة والتوازي العلائقي البنائي بن الكتابة والقراءة على اعتبار أن النص قاسما مشتركا بينهما ينطوي على تفاعلات معرفية، وأنساق متحولة، منطلقة من مشروع ذاتي لترسم معالم المشروع التأويلي عبر الانتقال من الموجود/البناء المركزي وصولا إلى فتق التكثيفات الدلالية وتفكيكها وإخراجها من حيزها الوجودي المألوف إلى حيز جديد يتكئ على الانفتاحات الدلالية، مع استجلاب أسراره، مما يجعل أمر الانتقال من دائرة النص وممكناته أمرا ممكنا تلمح آفاق انعكاساته في دائرة الكشف التأويلي .

وفي ظل هذا السياق تجدر الإشارة إلى أن الاتصال الماثل بين الكتابة والقراءة ما هو إلا اتصال جدلي؛ كون« الكتابة لا يصح أن تدعى كتابة إلا جوازا قبل أن تسمى قراءة، لأن ما يكتب ليس مصوبا نحو الكتابة ذاتها بقدر ما هو مسدد اتجاه القراءة في غير ذاتها»[2]

وإذا كانت الكتابة التي تحمل تخطيطا وجوديا وفق شبكة علاقاتية ذات طابع حواري؛ فإن القراءة لا تنفصل تماما عن تلك الخصوصية، كما أن هذه الأخيرة تمنح ذاك الوجود تكامليته المطلوبة، مستوعبة أنساقه الفاعلة، ومنظوماته المعرفية، وتكشف عن حضوره الثقافي، متجاوزة بذلك مستوى الوعي إلى مستوى اللاوعي، قصد ضمان البقاء الدلالي، وخلق آفاق وجودية جديدة، ويبقى ذاك الوجود دوما حاضنا لكل من الكتابة والقراءة .

وتبعا لهذا نلحظ بأن الحدث القرائي في حد ذاته حدث تكتنفه نمطية حضارية لها حضوريتها الثقافية التي تسهم مساهمة فعالة في تمديد مشاربها، وتوسيع آفاقها التأويلية، فهي بكل بساطة تملك قدرة عالية على التكييف والتنويع والتوليد والتجاوب، ولعل الغرض من كل هذا لتشمل «عمليات التدبر والتأمل والنّظر والبصر، والسمع والاستبصار الباطني (...)، إن بدت بسيطة ساذجة، سرعان ما تتشعّب وتغور، وتتعقد لأنها لا تتوقف عند حد معلوم ما دام الأفق المعطى لها يمتد من المتأمل ذاته إلى الوجود في ماديته ومعنويته» .[3]

ومن السهل علينا أيضا – مما سبق – أن نقر بأن الانطلاق من المشروع الذاتي والتوجه نحو الكشف التأويلي قصد تحقيق المشروع البنائي /الوجودي/ النصي فيما بعد، وهو-في تصورنا- مسعى فكري لكل مشتغل على استنطاق النص الذي يهتم بخلاياه وفعله الإنتاجي، والحدث الإدراكي لما تولده العلاقات الداخلية من حمولات دلالية، حاضرة في فضاءات مكثفة لا تكفي القراءة الواحدة لاستخراجها؛ وبخاصة إذا تم التسليم بأن « القراءة الوحيدة لنص ما والتي يمكن التعويل عليها هي قراءة خاطئة، حيث أن الوجود

الوحيد للنص إنما يعطى بوساطة سلسلة من الاستجابات التي يثيرها (...) فإن النص رحلة خلوية يجلب فيها الكاتب الكلمات بينما يجلب القراء المعنى »[4].

ومن الصعب بل من اللا ممكن –إن صح القول- أن يتم التركيز على قراءة استنطاقية واحدة للنص والادعاء باحتوائه دلاليا، كون النص يبعث في قارئه تيارات معرفية تدغدغ شحناته الثقافية ومرجعياته المعرفية، فالقارئ«الحقيقي الملموس يدرك النص بذكائه وبرغباته وبثقافته وبقيوده الاجتماعية والتاريخية، وبذلك بشخصيته اللاواعية »[5]

فطبيعة الظاهرة الأدبية تقتضي نشاطات قرائيا ينطلق من الوجود النصي ليستكشف كينونته الوجودية قصد استشراف كينونة وجودية أخرى وفق توجهات فكرية جديدة، ومنظورات معرفية متباينة تومئ بها استراتيجية محددة تنبني على المبدأ التفاعلي الحواري الماثل بين إمكانيات ذاك الوجود وقدرات القارئ وثقافته، ومن ثم تكون المحصلة منهما توليد موجود نصي آخر جديد يحقق حضوره الثقافي .

2 - مشروعية قراءة الوجود النصي في ظل سياقات الحضور الثقافي:

يتبادر إلى أذهاننا التساؤل التالي: كيف يمكن للمشتغل على قراءة النص أن يحدد إستراتيجية فعالة قصد استكشاف أشكال الحضور الثقافي الذي ينطوي عليه؟ هل يتم ذلك في ضوء العصور المتعاقبة؟ أم الظروف التاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ؟ أم الثقافية فحسب؟

من الواضح أن الوجود النصي يستدعي مجموعة من القراءات، لكن هذه القراءات هل لكل واحدة منها إستراتيجية محددة تتباين بها عن غيرها من الاستراتيجيات الأخرى؟ثم ماذا عن مقصديه ذاك الوجود في حد ذاته ؟هل هو متصل بمقصديه المتفاعل معه/ المستكشف/ القارئ؟أم بما هو مؤسس في الوجود؟

الإجابة عن هذه التساؤلات التي تختلج ذواتنا أجاب عنها"حميد لحميداني"مشيرا إلى أن:« النصوص الأدبية معرضة على الدوام لأن تقرأ في العصر الواحد قراءات متعددة في الآن نفسه، كما أنها خاضعة أيضا للقراءات المتعاقبة في التاريخ، فمن شأن اختلاف الظروف وعقليات القراء أن يفضي إلى تنوع هائل في أنماط القراءة، وهو ما يؤدي إلى تقديم صور متباينة من حيث تحديد المضامين والقيم الفنية للنص الواحد »[6]

وليس من شك في أن كل قارئ له إستراتيجية معينة في استنطاق الوجود النصي،كما له زاد معرفي يعينه على الوقوف عند كل ما يتضمنه من حضور ثقافي له دينامية متميزة، تتجلى عن طريق مبدأ التفاعل بين الموجد للنص والموجود النصي والمستكشف لماورائية ذاك الموجود، فهذه الأقطاب الثلاثة تمثل الركيزة المحورية لقراءة الوجود والاستبشار بالتطلعات الاستكشافية، مع ضرورة تفعيل ملكة تجاوز الكينونة الراهنة لبناء كينونة وجودية استشرافية، فنحن« لسنا أمام قراءة كلية لأننا لا نفترض وجود مركز ثابت للنص، ولا نفترض وجود قصدية مولدة قادرة على بناء عالم مطلق الانسجام وقادرة على التحكم في كل تطوراته الممكنة.إن النص يتمرد على خالقه،و بعض الانسجام يوجد في ذات القارئ،و القراءة لا تبحث عن معنى بل تسقط سيرورات تأويلية هي نتاج فرضية للقراءة، ما يطلق عليه إيكو اطوبيك.وهذا الطوبيك لا

يشكل معطى موضوعيا يجب التعرف عليه، إنه يشير إلى إمكانية خرق النسق الأصلي واستبداله ببناءات تعيد النظر في العلاقات التي تتسرب إلى ذهن القارئ مع القراءة الأولى»[7].

فالقراءة لها سيرورات تأويلية لا تتجاهل الحضور الثقافي الذي يمكن عده لبنة بنائية لعالم دلالي يستوجب بدوره تمظهرات خاصة تمتع بدينامية توحي بمعالم التفاعل مع الموجود النصي وما له من عوالم ممكنة تتكئ على التفاعل والحوار ومن ثم الاستكشاف وإعادة البناء .

ولعل كل هذا لا يتأتى من العدم وإنما يتم الانطلاق في البداية من جملة من الاحتمالات، وثلة من الممكنات، وشبكة من الآفاق تعين الحدث التأويلي، وبخاصة إذا تم الإقرار بأن « كل أثر فني حتى وإن كان مكتملا ومغلقا من خلال اكتمال بنيته المضبوطة بدقة،هو أثر"مفتوح"على الأقل من خلال كونه يؤول بطرق مختلفة دون أن تتأثر خصوصيته التي لا يمكن أن تختزل.و يرجع التمتع بالأثر الفني إلى كوننا نعطيه تأولا ونمنحه تنفيذا ونعيد إحياءه في إطار أصيل »[8]

وهكذا يظل الموجود النصي مفتوحا، له ذات فاعلة تسهم في تحقيق الكيان الدلالي الثقافي، كما تؤسس لسيرورة تأويلية تكون بدورها قابلة للتحاور والتفاعل والكشف عن المقصديات المختلفة التي لا تتأتى إلا بالحدث الاستنطاقي المتولد من الفهم العميق للماورائيات، فحدق الاستنطاق/ القراءة يشتمل على المحطات التالية:

« **أ**- ا لبحث عن فرضية دلالية شاملة واختيارها(إنها البنيات الدلالية الكبرى في لسانيات النص).

ب - إن اختيار الأساس الدلالي يجب أن يصاحبه اختيار للمنطق الذي يجمع بين حدود النموذج.

ج - وانطلاقا من اختيار التشاكل والمنطق اللذين يحددان الانسجام يمكن للقراءة أن تعمل على مجموع النص لكي تجعله ذا معنى »[9]

ويكون بذلك معطى الوجود النصي عمودا فقريا لحدث الاستنطاق ومن ثم التأويل،على اعتبار التنوع الفكري والاختلاف المعرفي تكفله السيرورات المذكورة آنفا، ولاسيما تلك المتصلة بجسولر التواصل الماثلة بين الوجود النصي، والكشف التأويلي، والنسق الفاعلي، والحضور الثقافي، فهذا النمط التكعيبي-إن صح القول- له نشاطه وحركيته في بناء موجود جديد ولهذا«لا يمكن أن تكون تعيينا لمعنى مثبت في الواقعة بشكل نهائي إنها على العكس من ذلك خزان من الدلالات لا ينتهي فلا جدوى إذن من البحث عن المعنى خارج السيرورات» [10].

فالانتهاء من القراءة للوجود النصي ما هي إلا بداية لقراءة جديدة، لها مفاتيحها الخاصة.

ومما لاشك فيه أن المبدع وهو يؤسس لمنجزه الذهني يسعى دوما نحو تشكيل بناء محكم يتضمن نسيجا من الممكنات الفكرية، وفق آليات ذاتية تنطوي على فسيفساء دلالية، تقتضي فضاء دلاليا لا ينفصل عن استنطاق الحدث التفكيري في حد ذاته، على اعتبار أن الإبداع يعد « الإنتاج الجديد الأصيل الذي

مجلد: 12 عدد: 2، يونيو 2023
E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

يقدم قيمة مضافة للمجتمع (...) هذا النتاج يتجلى بأشكال عديدة ومتنوعة، وفقا لوظيفة النشاط الإبداعي وطبيعته ومستواه في الأصالة والقيمة»[11]

وفي ظل هذا التصور يمكن القول: إن العملية الإبداعية ما هي إلا استحداث للأنشطة التركيبية، المارساتية، الدلالية،التناسلية، فهذا الإيماء التكعيبي يوحي بكون النص يمثل الرحم الذي « فيه المعاني وتتناسل المؤثرات والتقبل يُوَلِّد بحسب طاقته القرائية ظلالا من المعنى الممكن » .[12]

ومما يبدو لنا أن الحدث القرائي يستوجب وجوب علاقة انجذابية بين البنية النصية في حد ذاتها والمشتغل على استنطاقها، كل يكمل الآخر« القراءة لا تتم إلا مع الكتابة ،إنها فعل مستحدث يستحدثه النص المكتوب ،وكأن النص نداء، وعلى القراءة أن تلبي هذا النداء»[13]، فكل منهما يستوجب حضور الآخر ويستدعيه في حضن الرؤية العميقة والاستخراجية للما ورائية، عن طريق تفكيك المنظومة التركيبية للنسيج الكتابي، الذي يتم تجاوزه إلى دلالة مستحدثة تكون وليدة الحدث التفكيكي ألاستنطاقي التوليدي .

وفي ظل هذا التصور يبرز لنا الدور الفعال للحدث القرائي الذي نجده يتمتع بأفق معرفي يجعله يفتح « للقارئ إمكانية المشاركة في فعل الخلق، باستعارة قدرة الكاتب على إتيان فعل الخلق والتكوين، والدخول في الأقاليم البعيدة الموحشة والتوغل في اللا منكشف المجهول»[14]

ومن الجدير بالذكر أن المشتغل على فتق المنجز الذهني وفك شفراته وأنظمته اللغوية ورسم خريطة دلالية لما تضمنه من منظومات معرفية وما له من آليات جمالية انطلاقا من الشرعية الحضورية له، مع التركيز على مبدأ الحوار وما له من صبغة تحليلية تعليلية لا تنفصل عن المعطيات الموقفية النصية والتي بدورها تعين القارئ في حدثه القرائي، الذي يرغب من خلاله-كما نعتقد- في تحويل تلك المنجزات إلى بيانات دلالية ذات إستراتيجية خاصة، تبحث في ظل الكائن الموجود (النص الراهن الذي أسسه المبدع)، وإبراز انعكاساته الدلالية بل مقصدياته وما لها من آليات إجرائية، رغبة في بناء كيان نصي جديد يمكن أن ندعوه بالكائن المنتظر(النص المنتج بعد الحدث القرائي الاستنطاقي).

وإذا كان هنالك وعي خالص بحقيقة الخطاطة اللغوية التي انطوى عليها الكائن الموجود، فإن إزاحة الستار أو الحدث القرائي الاستنطاقي لدلالاته –بل حتى تجاوزها- يكون ممكنا للمشتغل عليها، ومن ثم ارتحاله من الظاهر إلى المضمر، شريطة احترام ثنائية الاستحضار والغياب .

ومن هنا يمكن التسليم بأن العملية القرائية تومئ بوجود « مجموعة من عمليات التحليل وتطبيقها على نص معين، وتقدم هذه القراءة نفسها كإنتاج مقابل للوصف أو الشرح الكلاسيكي للنص الأدبي ،إنها قراءة لاشتغال النص ؛أي للعملية التي تؤسسه كنص من النصوص،أو هي قراءة لإنتاجيته ،وتتسم بكونها قراءة غير منتهية ما دامت تظل مفتوحة أبدا علة قراءات أخرى معتمدة على تقنيات تحليلية أخرى»[15]

وفي هذا الإطار تبقى العملية القرائية عملية حوارية، انفعالية ،استكشافية، بنائية، ترتكز على جملة من المرتكزات:

المرتكز الأول: الملاحظة: الانفعالات الأولية والانطباعات(البقاء في حدود ما وضعه المبدع)؛ حيث إن هذا المرتكز يأخذ من الذوق عمادا له..

المرتكز الثاني:التحليل المبدئي والوقوف عند حدود القراءة الأولية/ استحسان ما يمكن استحسانه واستهجان غير المرغوب فيه.

المرتكز الثالث: تدبر النص، ومواجهة سلطته عن طريق إبراز سلطة القارئ على حساب سلطة النص(ولوج الذات في أغوار النص)

المرتكز الرابع: تقديم ما تم التوصل إليه من قراءة منهجية ممنهجة (الانتقال من الكائن الموجود إلى الكائن المنتظر).

المرتكز الخامس: قراءة القراءة، يتم في ضوء هذا المرتكز تثمين ما تم التوصل إليه في القراءة السابقة دون الاكتفاء به، فهو أقرب بكثير من القراءة الناقدة التي هي بدورها إبداع جديد.

وعلى هذا الأساس نذكر بأن هذه المرتكزات ليست مجرد آليات تراعى في الحدث القرائي فحسب؛ وإنما هي جزء لا يتجزأ من القراءة الفاعلة للمنجزات الذهنية المتكئة على الاستيعاب والهدم ثم إعادة البناء.

ومما يظهر لنا أن الوجود النصي تكتنفه رؤية نقدية موغلة في متاهات التوظيف والبناء اللغوي التي تشكل عالمه الدلالي المتصل-بكل بساطة- بثوابت وموجودات متميزة، تزحزحها-إن صح القول- العملية القرائية من بوتقتها نحو آفاق جديدة لها من المحركات والمتغيرات ما يجعلها ذات وجود وكفاءة ثقافية، وذلك من خلال مستويات فاعلة عديدة منها:

- مستوى الفاعلية في النسق .
- مستوى الفاعلة في النشاط الإبداعي.
- مستوى الفاعلة في القواعد.
- مستوى الفاعلة في الغاية.
- مستوى الفاعلة في المدار أو الفلك الجمالي.
- مستوى الفاعلة في التجربة الثقافية ..الخ.

وهذه المستويات كلها تدفعنا نحو الإشارة إلى أن الحضور الثقافي للبنية النصية –انطلاقا من كون هذه البنية ظاهرة ثقافية- يعد « تتويجا لدراسات سياقية تبدأ بالسياق التداولي، فالسياق المعرفي، ثم السياق الاجتماعي- النفسي، وأخيرا السياق الاجتماعي الثقافي، وربط كل دراسة سياقية بهدف له علاقة بالنص الأدبي، تبدأ بالنص كفعل لغوي، ثم بعملية فهمه، وتأثيره، وأخيرا تفاعلاته مع المؤسسة الاجتماعية» [16].

ويبدو أن الوجود النصي له حضوره الثقافي المتصل بسياقات متباينة منها: (المعرفية، الاجتماعية النفسية، الاجتماعية الثقافية، ولعل الملاحظ على هذه السياقات كلها أنها غير منفصلة الغايات والأهداف المسطرة لها.

ثالثا: رواية(أقتلوهم جميعا) لـ"سليم باشي"من غواية النسق إلى مركزية الحضور الثقافي:

1. نسقية الواجهة/ الغلاف:

الناظر إلى الغلاف الخارجي للرواية(الواجهة) يرى أنها تمثل نسقا فاعلا للعمل الروائي ككل، فهو يحمل صورة لمدينة نيويورك أخذت من الأعلى تعكس شبكة من الطرقات المتشابكة والمتقاطعة، ومنازل عديدة منها المحاطة بالمساحات الخضراء،ومنها ما هو على شكل ناطحات السحاب، تتضمن برجان في غاية الأهمية هما بمثابة البوصلة بالنسبة لسكان هذه المدينة، إنهما مركز التجارة العالمي وهو أشبه بالمدينة داخل المدينة، بل رمز من رموز الاقتصاد الأمريكي.

كما أن هذه الواجهة كانت بألوان قاتمة (حتى لون البحر كان أسودا) تجمع بين السواد والبني الترابي والرمادي، والأخضر، والأبيض ولكلها ألوان لها دلالاتها:

-الأسود: على الرغم من كون هذا اللون يعطي دلالة سلبية عن الأشياء إلا أننا نلمس فيه – انطلاقا من مضمون الرواية- قراءة لما سيأتي، وكأننا بالمبدع يرفض لحظة الما كان ويبتغي لحظة الما سيكون، وهذا الوعي باللحظتين يجعل الوجود يمضي نحو مجلى آخر،حيث يردنا هذا السواد الطاغي على الواجهة إلى مصدر القضية المطروحة في الوجود النصي الذي يمثل مركز الدائرة(قسوة الأحداث / 11 سبتمبر 2001 م وانعكاساتها على كل الأصعدة)، والتي تحيط بها الوقائع المتتابعة والخطوب الخاضعة للتمرد حينا وللحضور حينا آخر.

- البني الترابي: لون يتميز بجماله، وتحصيله للاستقرار، وإعلانه لولادة نابعة من الوجود المتجدد، وتبريره للحظات يبتغيها الوجود الخلاق، حيث يبدو لنا أن هذا اللون يوحي بكينونة الطبيعة المتجددة بتجدد الحلقة الدورانية التجددية للفصول، وبتجدد التكون البشري بتجدد دورات الخصوبة، وجسدها لنا صاحب الرواية في أثناء حديثه عن تعاقب الأجيال وتسجيل التاريخ للأحداث:« لا تكون الجريمة إلا إبادة جماعية أخرى ضمن قائمة طويلة، مثلما يحدث كل يوم، وعبر كل أنحاء المعمورة الواسعة، الفرق بينها هو أن جريمتك ستحظى بإعلام واسع الانتشار، سيتحدثون عنها ولا يكفون عن ذكرها، وبعد ذلك سيأتي يوم وهذه سنة الحياة، تنسى فيه البشرية هذه الجريمة، مثلما فعلت مع مثيلتها عبر التاريخ» (17)

وأحسب أن البعد القرائي لهذا اللون في الغلاف يقر لنا بأن صاحب الرواية يملك إيمانا قويا بقضيته، مع الالتزام بها، على الرغم من وجود جوانب مظلمة-(المشاعر والأحاسيس السلبية مع الحزن والكآبة) -فيما كتبه إلا أننا نحس بإخلاصه وتفانيه في إيصال صوته عبر الأنساق التي وظفها وهذا نابع من ثقته بنفسه، وكذا من الأحداث التاريخية التي لها الدور في التغيير.

-**الرمادي:** لون يتصل بالكآبة، والغموض، والفقدان، الانعزال وحب الوحدة، إنه لون عملي بحيث ينطلق من الذات ليعود إليها، وصاحب الرواية هنا ينطلق مما لديه ليعقد مراسيم البناء النصي عنده، ليضمنه وظيفة فعلية تخلق دلالة تخرج إلى الوجود أحداثا وشخصيات ومشاهد في لأغلبها لها صلة بالواقع، ووظفها الكاتب بحثا منه عن الما سيكون وفي هذا يقول:« كانوا مستعدين لاستقبال العالم الجديد الذي سيولد، يمنحون له الحياة في الموت »[18] رغبة في الميلاد الجديد الذي سبق وأن أشار إليه المبدع في قوله:« ...توقف بشاطئ أبيض طويل وتأمل البحر مفكرا في السفن الثلاث المزينة بالصليب، سفن ثلاث أشرت، باكتشافها الهند الغربية، على نهاية عالم على سقوط غرناطة، وتفتح عالم آخر، حينذاك هو أيضا خمن بأن فعله سيؤشر بدوره على الدخول في عهد جديد »[19]

-**الأخضر:** الذي تجلى لنا في كتابة عنوان الرواية **(أقتلوهم جميعا)**، لون يوحي بالثبات والأمان والانطلاقة الجديدة مع الرؤية الواضحة، وكأننا بالكاتب هنا يخبر قارئه أنه واثق مما سيأتي، بفضل فتح قنوات الحوار مع الآخر حتى ولو كانت ذلك بالعنف والإرهاب، وهذا زيادة منه للقدرة على التقدم نحو الأمام أملا في التغيير مهما كان الثمن، مشيرا في الوقت ذاته إلى ضرورة مواصلة الرحلة التغييرية التجديدية لاستكشاف غايات تشفي العقل والروح والتوجه.

-**الأبيض:** لون كتب به اسم المؤلف"سليم باشي"، ولفظة الرواية لتحديد جنس العمل الإبداعي، وكذا سجل به عبارة(منشورات البرزخ) وذلك لتحديد دار النشر (التي نشر فيها هذا العمل بعد ترجمته)، فاللون الأبيض هنا = التحديدات، إنه لون النور، لون الصفاء،التفاؤل والوضوح، وهنا يعلمنا "سليم باشي"بأن توجهه واضح يتجاوز حدود الإيديولوجيات ويكشف عن التوترات الحاصلة في تلك الفترة التي حددها في روايته.

ولعل الناظر إلى كل هذه الألوان يظهر له بأنها كانت عبارة عن مؤشرات بصرية تترجم للقارئ خريطة فكرية ذات أنساق مترجمة لحوادث تاريخية أوردها المؤلف وفق نظام تتابعي تآزري يكسب قيمته انطلاقا من تعالقها مع بعضها البعض.

2.النسق والحضور الثقافي في رواية (أقتلوهم جميعا):(إبانة الصمت في ظل التفاعل الثقافي والمتغير المعرفي):

الواقع أن الرواية تحمل حقيقة العقل وعيار الرأي، ويبرز ذلك من خلال وعي "سليم باشي" بحال الألفاظ المنتقاة وما ترمي إليه من دلالات، فضلا عن وعيه بحاله وبالقضية التاريخية المطروحة، فكان وعيه هنا يحتضن أمور عدة منها:

-وعيه بذاته الفاعلية للإبداع والمدركة للحدث التاريخي، والتي أصبح عندها استرجاع الحق الضائع من الأمور البديهية والمسلم بها «كانوا مستعدين.(...) كلما تكاثر الأموات كلما شعروا براحة أكبر: وحدهما السيف والدم يؤسسان لولادة الأمم العظمى»[20]

-اختزاله لمجموع العناصر المشكلة لذاك الحدث والتي جعل منها لوحة فنية أخرجها في نسق مستو لا تنافر بينها، وهذا ما لاحظناه في البناء العام للرواية فكرا وصياغة ومعطى موقفيا وتصويرا للوقائع...الخ.

-تبيانه لحضور الحدث في روايته من حيث حضوره ووجوده في إطار الفاعلية الكلية التي يؤطرها النسق ويوضح معالم الثقافة فيها التي توافر عليها المؤلف وما لها من توجهات فكرية وشحنات معرفية يواجه بها-صاحب الرواية- متطلبات عالم جديد معقد عمته الصراعات الحضارية والثقافية والفكرية والسياسية والاجتماعية بل حتى النفسية، وفي هذا يقول: «إنها الأمكنة العليا لذاكرتنا الملوثة، بنى أجدادنا حضارتهم بنوا قصر الحمراء ليشهد على تميزهم(...) شيدوا المساجد ودرسوا بها العلوم المعروفة: الفلسفة، الطب، الكيمياء، والجبر» (21)

ولعل هذا التوجه الفكري وضحه لنا "سليم باشي"من خلال حديثه عن ثنائية(الشرق والغرب/الأنا والآخر)، وقد كانت حاضرة بقوة في الرواية، بل جوهرها، نستشفها من خلال استخدامه للمرأة كرمز واضح عن العلاقة بين طرفي هذه الثنائية وكان في كل مرة يركز على الرغبة في التماهي والانصهار للأولى في الثانية على الرغم من سلبية المعطى الموقفي في حد ذاته والذي جسده لنا من خلال قوله: « تزوجها في وقت لم يكن يرغب في شيء، سوى أن لا يهان أبدا من طرف موظف جاهل وسكير، كان منهكا ماتت روحه من الإرهاق وفر من البيت، فتاه بلا أي مورود، أصبح مهاجرا سريا، بلا أوراق هوية، بلا أي شيء، عبدا رافضا كل مساعدة، كل إغاثة وهو على قاب قوسين من الانتصار، أهمل إمكانية أن يصبح واحدا منهم بعد أن تزوج واحدة منهم » (22)

تكمن عقدة هذه الثنائية-في تصورنا-بوضوح في العبارات:"أصبح مهاجرا سريا، بلا أوراق هوية، بلا أي شيء، عبدا رافضا كل مساعدة، كل إغاثة..."، وجاءت هذه العبارات مصورة لأسلوب الكينونة في وحدة نسقية تركيبية تكون معطى وجوديا دالا يمكن توضيحه في ضوء المعادلات التالية:

الكائن الحاضر: المسئول عن الكينونة الراهنة(هو الذي أصبح/ هو العبد/ هو الرافض)= يؤسس لماضيه بطريقة لا مبالية.

الماضي الحاضر: احتواء الوجود داخل الزمن= (الهجرة السرية/ انعدام الهوية/ الاكتفاء بالذات)

الكائن الحاضر+ الماضي الحاضر= تعرض الممكن لحكم الآخر.

ويمكن لهذه المعادلات أن تجعلنا نستوعب بأن التنظيم ألأداتي –النسق- في الرواية محوره الصراع الحضاري الذي أنتجه "سليم باشي" في أنسجة قصدية هي في ذاتها مفتاح التنظيم الفعال للأحداث بكل ما يمثله من إمكانيات إدراكية لكينونة الآخر، والتي تكشفها لنا العناوين الثلاثة الكبرى التي قسم وفقها مشاهد روايته وهي:

-**العودة الأبدية**(من الصفحة 11 إلى الصفحة68) بمعدل 14 مشهد.

-**ملك الطيور**(من الصفحة 69 إلى الصفحة103) بمعدل 10 مشاهد.

مجلة إشكالات في اللغة والأدب | مجلد: 12 عدد: 2، يونيو 2023
ص: 474 - 487 | E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

-عودة الأبدي(من الصفحة 105 إلى الصفحة 140) بمعدل 08 مشاهد.

ومما يبدو لنا أن المدقق في هذه العناوين الكبرى يستكشف الإحساس بأولوية المدلول على الدال؛ كونه –بكل بساطة- يعطي صورة عن الدائرة الوجودية التي نرى أنها هنا مقفلة، في ظل مسار التوالد للواقع الإنساني في تلك الفترة(أحداث 11 سبتمبر)، وندرك من خلالها تداخل الثقافة مع نطاق مفاهيم كبرى للحقيقة التاريخية غير المنفصلة عن الأطر الحضارية؛ فهذه العودة الأبدية إشارة إلى العلاقة بين الأنا والآخر والتي تتكرر بشكل لا متناهي، وهذا أمر مقدر وغير مخير، و(أل) التعريف هنا التي تسبق الكلمتين(عودة)(أبدية) – (والتي غابت فيما بعد في عنوان عودة الأبدي)- ما هي إلا إزالة للبس والغموض عن المعارف المتداخلة التي حاول المؤلف توظيفها في عمله الإبداعي ضمن علاقات منطقية وجودية تخص المشروع الانتقامي الذي بينه لقارئه منذ وضعه للعنوان المفتاحي للرواية(أقتلوهم جميعا)، إنه خطاب مشحون بالكراهية والحقد(أمر+ توكيد لفظي)، عنوان عنكبوتي وضع خيوطه عبر المصطلحات المحورية (العودة+الأبدية) ،(الملك/المسيطر) + الطيور/ الرغبة في التحرر)،(عودة+ الأبدي)كلها توحي بالصراع والصدام موضحا ذلك في قوله: « في وقت لم يحن فيه بعد زمن اكتشاف كل مناطق الروح الإنسانية هذا الحش النتن، يعيشون طويلا، لا نقصد المحظوظين، بل الغربيين، إنهم لا يعرفون الزمن، كانوا خارج دائرة سهامه، أطفال كبار منشغلين قبل كل شيء بقلفهم ويلعبون لعبة طوطة من أكبر، فيما كانوا ينكرونهم؛ وبفضلهم، يعيشون غارقين في التاريخ، هذا السد يم، هذا الكابوس الذي لا نستيقظ منه أبدا، وحينما يتذكرونهم يقصفونهم بالقنابل، يستعمرونهم، يحتلون أراضيهم ويضعون على رأس دولهم طواغيت يخنقون كل الأنفاس يحرقون أجيالا كاملة من الشباب(...)»[23]، وهذا الكلام كان وما زال وسيبقى يحكم المعمورة، فهو يعكس لنا تماما صورة عما نجد العالم عليه، والذي يتأرجح بين السلب والغصب والرغبة في الاسترداد والاسترجاع، وهذه دلالة ناتجة عن فكرة الصراع في حد ذاتها، وهي بنية تصويرية ترتبط بالنظام، كما تخط تاريخ العلاقة الدائمة بين الشرق والغرب، وترسم نمطية الآخر.

بالإضافة إلى ذلك يضع صاحب الرواية بين أيدينا ممكنات أخرى نستشفها من الأحداث التي تدور في بورتلاند المدينة الأمريكية التي تعد من المدن الكبرى في أمريكا، حيث كانت هذه الأحداث تخضع لآلية الاستحضار لمراحل عديدة من حياة البطل(يتمه في صغره، معاناته بسبب الوحدة، الانضمام إلى المنظمة التي كانت تفرض تدريبات من نوع خاص، الإدمان...الخ) هذا كله إشارة إلى الحياة العبثية التي ينطلق فيها من الهدف ليصل إلى اللا هدف، فوجوده في هذا الكون بدل أن يكون فعالا وفاعليا أصبح يدور في دائرة التدمير ومن ثم الهلاك، وهذا يشير لنا إلى أن حضوره يتعذر إدراكه لسلبيته والتي اختزلها لنا في قوله:« ليس الخطأ من مسئوليته، ومن هنا لا يكون مذنبا، وإذا كان تفكيره صائبا، وهو يشك في ذلك، خاصة بعد محاولة انتحاره (من جهة أخرى، ألم يرتكب هنا فعلا أكثر خطورة لأن قصده لقتل نفسه، كوعي مستقل عن خالقه"[24]

جامعة تامنغست– الجزائر University of Tamanghasset- Algeria

ومن هنا ندرك ما ينتج عن الصراع الماثل بين الأنا والأخر/ الشرق والغرب من عذاب وجودي على مستوى الرموز الموظفة التي تعكس مركزية الأنظمة الموحية بكيفية تقرير المصير انطلاقا من مواريث الماضي عبورا اشتغال التفكير بتقييم المسار، وصولا إلى النتيجة الحتمية الموت/ الانتحار.

خاتمة:

ومما سبق يمكن القول: إن الوجود النصي من المشروع الذاتي إلى الكشف التأويلي

له أنساقه الفاعلة، الموحية بأنماط حضورية ثقافية، تتشاكل لتؤسس لبنيات وجودية ومستحدثة يسعى لاستكشافها القارئ وفق لتتبعه لمسارات فكرية ثقافية متعددة، تتفاعل مع بعضها البعض وفق علاقات ديناميةتمنح إشارات الاحتمال الدلالي.

وعلى هذا الأساس تأخذ الدلالة البؤرة المركزية للوجود النصي المتعدد المداخل، والمنفتح على النظام الاستمراري السيروري لحدث القراءة والتأويل، ولعل استنطاقنا لرواية (اقتلوهم جميعا) "السليم باشي" دليل على ذلك.

هوامش:

[1] عبد القادر فيدوح: دلائلية النص الأدبي، دراسة سيميائية للشعر الجزائري، ديوان المطبوعات، الجزائر، 1993م،،ص:33.

[2] عبد الجليل مرتاض، في عالم النص والقراءة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 02، 2011 م،ص31.

[3] حبيب مونسي، نظريات القراءة في النقد المعاصر،منشورات دار الأديب، الجزائر،2007،ص7.

[4] أمبيرتو ايكو: التأويل والتأويل المفرط، ترجمة ناصر الحلواني، مركز الإنماء الحضاري، ط01، 2009 م، ص: 32.

[5] حسن مصطفى سحلول: نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها -دراسة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م، ص:11.

[6] حميد لحميدان: القراءة وتوليد الدلالة ،المركز الثقافي العربي، ط01، 2003م، ص: 29.

[7] سعيد بنكراد.التأويل بين إكراهات التناظر وانفتاح التدلال، مجلة علامات عدد 21، 2004م .صفحة

[8] أمبرطو إيكو، الأثر المفتوح ترجمة عبد الرحم بوعلي. اللاذقية دار الحوار للنشر والتوزيع، ط، 20012م، ص: 16.

[9] ميشال أوتن، سيميولوجية القراءة،ضمن نظريات القراءة من البنيوية إلى جمالية التلقي،تر:عبد الرحمن بوعلي،سورية-اللاذقية، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 2003، ص، ص: 124،126.

[10] سعيد بنكراد: مسالك المعنى-دراسة في بعض أنساق الثقافة العربية، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط 01، 2006، ص186.

[11] صلاح فضل: الإبداع شراكة حضارية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، جمهورية مصر العربية،2008م، د ط، ص:05.

[12] شكري المبخوت: جمالية الألفة (النص ومتقبله في التراث النقدي)، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، ط 1، 1993م، ص:13.

[13] حسين الواد: من قراءة النشأة إلى قراءة التقبل، ندوة القراءة والكتابة، نشر جامعة تونس، د ط، 1988م، ص: 189،190.

[14] حمادي صمود: قراءة نص شعري من ديوان "أغاني مهيار الدمشقي" لأدونيس، ندوة صناعة المعنى وتأويل النص، ص: 357.

[15] محمد حمود: تدريس الأدب، إستراتيجية القراءة والإقراء، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، دط، 1993م، ص:18.

[16] عبد الله إبراهيم : التلقي والسياقات الثقافية- بحث في تأويل الظاهرة الأدبية، كتاب الرياض، مؤسسة اليمامة الصحفية العدد93، أغسطس 2001م، ص: 13.

17 سليم باشي: أقتلوهم جميعا (رواية)، منشورات البرزخ الجزائر،(دط)، 2007م،ص: 60

18 المصدر نفسه، ص: 125.

19 المصدر نفسه، ص: 61.

20 المصدر نفسه، ص: 23، 24.

21 المصدر نفسه، ص: 65.

22 المصدر نفسه، ص: 44.

23 المصدر نفسه، ص: 52، 53.

24 المصدر نفسه، ص: 109.

قائمة المراجع:

الكتب:

1- أمبرطو إيكو: الأثر المفتوح ترجمة عبد الرحم بوعلي، 2001م، اللاذقية دار الحوار للنشر والتوزيع، ط 2.
2- أمبيرتو ايكو: التأويل والتأويل المفرط، ترجمة ناصر الحلواني، 2009 م، مركز الإنماء الحضاري، ط01.
3- حبيب مونسي، نظريات القراءة في النقد المعاصر، 2007، منشورات دار الأديب، الجزائر.
4- حسن مصطفى سحلول: نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها -دراسة، 2001م، اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
5- حميد لحميدان: القراءة وتوليد الدلالة، 2003م، المركز الثقافي العربي، ط01.
6- سعيد بنكراد: مسالك المعنى-دراسة في بعض أنساق الثقافة العربية، 2006، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1.
7- سليم باشي: أقتلوهم جميعا (رواية)، منشورات البرزخ الجزائر،(دط)، 2007م.
8- شكري المبخوت: جمالية الألفة (النص ومتقبله في التراث النقدي)، ا1993م، لمجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، ط 1.
9- صلاح فضل: الإبداع شراكة حضارية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2008م، القاهرة، جمهورية مصر العربية، د ط.
10- عبد الجليل مرتاض، في عالم النص والقراءة، 2011 م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 02.
11- عبد القادر فيدوح: دلائلية النص الأدبي، دراسة سيميائية للشعر الجزائري، 1993م، ديوان المطبوعات، الجزائر.

12- عبد الله إبراهيم : التلقي والسياقات الثقافية- بحث في تأويل الظاهرة الأدبية، 2001م، كتاب الرياض، مؤسسة اليمامة الصحفية العدد93، أغسطس.

13- محمد حمود: تدريس الأدب، إستراتيجية القراءة والإقراء، 1993م، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب،

14- ميشال أوتن، سيميولوجية القراءة،ضمن نظريات القراءة من البنيوية إلى جمالية التلقي، 2003، تر:عبد الرحمن بوعلي، سورية-اللاذقية، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1.

2- المجلات:

1-سعيد بنكراد: التأويل بين إكراهات التناظر وانفتاح التدلال، مجلة علامات،ع 21، 2004م .صفحة الويب

3- الملتقيات والندوات

1-حمادي صمود: قراءة نص شعري من ديوان "أغاني مهيار الدمشقي" لأدونيس، ندوة صناعة المعنى وتأويل النص.

2-حسين الواد: من قراءة النشأة إلى قراءة التقبل، 1988م، ندوة القراءة والكتابة، نشر جامعة تونس.